صدى الحرية / العدد 68 / الجمعة 4 / تمـــوز / 2014

صدى الحرية

فريق QMT قدسيا الإعلامي

بسّيمة .. براميل الموت

رسائل رمضانية

باب الحارة وإعلام النظام

عن دولة وُلدت فاشلة

لا تفسدوا صيامكم

واقع الإعلام العربي والثورة

عبد الرحمن من الجبابرة

صدى الحرية

* أسبوعية * ثورية * اجتماعية * توعوية * منوعة *

رسائل رمضانية

موسمٌ جديد من مواسم الخير يطل على الأمة الإسلامية، فيه ما يحتاجه الناس من الحالة الروحانية المخلصة من روتين الحياة المادية التي اعتدنا عليها طيلة السنة، فريضةٌ إيمانية تضيف معنىً آخر لا ينبغي أن يغيب عنا، معنى التغيير لما هو أفضل، فالحال أن ننتقل من الغفلة إلى العودة والاستيقاظ، وباب الله تعالى مفتوح، لكن ما علاقة رمضان بالثورة؟ ولماذا نبدأ به عدد المجلة؟ يبدو أن الأمور في المدينة بل وفي عموم سوريا بحاجة لوقفات روحية بعيداً عن الدنيا التي جذبت إليها البعض وغرقهم، وأعمت المطامع كثيراً من الثوار فركنوا لها، بل ربما حيدت البعض الآخر، وتناسينا في هذا الواقع أننا في جهادٍ عظيم، أمام أعداء كثر، واليوم الفرصة كبيرة لحمل الزاد والتفكر فيما وصلنا له، والعودة مجدداً إلى ساحات الجهاد، كلٌّ وفق إمكاناته وما هيأ له من دور، وعلى اعتبار الانتقال من مرحلة الثورة والمطالبة بالتغيير إلى مرحلة جهادية نعيشها في هذه الأوقات على امتداد رقعة واسعة من الأمة، فالأولى أن نتحدث عن علاقة رمضان بأحوالنا وجهادنا مع أنفسنا للخروج مما صرنا له، ومن عنق الزجاجة، باتجاه النصر، ولعل الارتباط وثيق بين شهر رمضان المبارك وانتصارات المسلمين والتاريخ خير شاهدٍ وهي أكثر من أن تعد فهاهي ((حطين، فتح الأندلس، معركة الزلاقة)). وغيرها من المعارك التي غلب فيها المسلمون عدوهم في أيام مباركة كهذه، والعوامل التي أدت إلى هذه الفتوحات والانتصارات العظيمة كثيرة، لعل أولها إرادة التغيير التي تبدأ بالنفس، ووضع الحدود أمام مطامعها وشهواتها والارتقاء بها نحو الكمال يقول الله تعالى: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾. ما دفعني لهذا الحديث هو عكوف البعض عن تأمل المعاني الحقيقية لرمضان، وحصرها في الامتناع عن الطعام والشراب، والالتقاء على موائد الدراما السورية والعربية التي تكثر في هذا الموسم لفض الناس بصورة مثيرة عن عباداتهم وواجبهم اتجاه ما يحدث، والتفاتهم إلى اللهو والاقتتال لأتفه الأسباب، لاسيما مع قلة المياه في المدينة على سبيل المثال، وشح الطاقة الكهربائية، ومع غلاء الأسعار وما يعانيه الناس من قلة الموارد المالية تصبح المعيشة صعبة ودافعاً أو مبرراً لحدوث بعض الصدامات بين الجيران والأصحاب، هذه الحالة ينبغي الخروج منها بالوعي العميق لمقصد عدونا في حصارنا، وأننا غالبون بإذن الله، إذا استثمرنا الطاقة الإيمانية بصدق، ولعلي خرجت

عن المألوف في الحديث عن حال المدينة إلى حال الناس مع أنفسهم وقبل كل شيء مع ربهم، فهي الأولى اليوم في حديثا إذا ما أردنا جهاداً حقيقياً صحيحاً ننتصر فيه ونقود ذواتنا أولا فمن أفلتت منه نفسه لم يذق ريح الانتصار. هموم الأمة اليوم جسيمة وتحتاج منا لمزيدٍ من الوعي، وما رمضان إلا مدرسةٌ إيمانية جهادية فتحت بابها، ولتكن هذه الأيام نقطة تغييرٍ وتحول جدية. جشع التجار مرفوض، وهو أم المصائب قبل الثورة، فكيف به اليوم؟

إصلاح ذات البين، وتوحيد القلوب، وتوجيهها إلى الله تعالى باب الغلبة وأول الطريق. الحب، حسن التعامل، مراعاة حقوق الجار، وباختصار التخلق بأخلاق القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هي المعادلة التي ينبغي بنا تحقيقها قبل الانتهاء من شهر الخير.

عن دولة ولدت فاشلة

قبل انطلاق الثورة السوريّة، كانت إحدى أبرز ظواهر حياتنا تتمثل بانعدام القدرة على الكلام والتعبير عمومًا، وذلك ناشئٌ بالدرجة الأولى من انعدام الحرية، ومن غياب –أو تغييب– قدرتنا على التفكير المنطقي في معظم ما له شأن بحياتنا الخاصة، والعامة.

وسبب ذلك هو الطغيان. فمنع الناس من التحرر، والتفكير، وإشغال جلّ وقتهم في السعي لتأمين أساسيات الحياة، لتحقيق الحدّ الكافي من الإشباع المطلوب لها، وبالتالي حصر نطاق تفكّرهم وتدبّرهم في إطارها، كانت ولا تزال آلية حكم فضلى وأثيرة لدى المستبدين.

وفضلًا عن شرط وجود الحرية، وشروط التفكير العقلي والمنطقي، فإنّ شرطًا حياتيًّا آخر مهمًّا جدًّا كان غائبًا أيضًا، ألا وهو المعرفة العامة، علومًا ومناهجَ، وفي هذا السياق تحديدًا –أي سياق المعرفة– كنّا ولا نزال نعاني نقصًا كبيرًا، ربما يصل درجة الجفاف، إنتاجًا واستهلاكًا، وأسباب ذلك متعددة، أبرزها حالة الردة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والجهل، والضعف، والتمزق الذي عشناه، منذ ما قبل، وما بعد الفترة التي رافقت تحلل الكيان السياسي الذي حكمنا، نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين؛ أي الفترة الممتدة من أواخر أيام الإمبراطورية العثمانية، وحتى سقوطها، ثم مرحلتي الاستعمار الخارجي، والحكم الوطني والذي قطعته نظم انقلابٍ عسكرية، انتهت بالاستعمار الأسدي الداخلي.

وهذه المرحلة بالذات، أي نهاية الإمبراطورية العثمانية، ربما تكون قد شهدت أهم تطور عرفته سوريا حديثًا، وتمثلَ ذلك بنشوء الكيان السياسي السوري المعاصر، ونعني به نشوء الدولة السورية. ومن أهم الملاحظات التي يمكن أن ترد على ذلك النشوء، أمران:

الأول، هو أن نشوء الدولة السورية كان سابقًا لنشوء المجتمع السوري، والذي يمكن لنا أن نزعم أنه لم ينشأ أصلًا. فوجود وحياة السكّان القاطنين لهذا الإقليم الجغرافي المعروف بسوريا، لم يمر بمرحلة تطور تاريخي–اجتماعي مفترض، من مجموعة أفراد يتشاركون سكن إقليم معين، إلى كتلة إنسانية اجتماعية لها مقوماتٌ سياسيةٌ، واقتصاديةٌ، واجتماعيةٌ، وثقافيةٌ، عامةٌ، لها حدٌّ معينٌ من الاشتراك والترابط، بما يمكِّن من إطلاق صفة المجتمع عليها –بالمعنى السياسي للكلمة–. بمعنى آخر؛ إن زوال المجتمع العثماني الذي كان السوريون جزءًا منه، لم يتولد عنه بالضرورة، وبصورة آلية، مجتمعٌ جديدٌ اسمه المجتمع السوري، ينتظم فيه الأفراد الذين يسكنون إقليم سوريا، ويشكل قاعدةً لدولة سورية. فشرط زوال المجتمع العثماني ليس كافيًا بذاته لإنتاج وتوليد ذلك، كما إن مجتمعًا سوريًّا متمايزًا، لم يوجد قبل مرحلة حكم العثمانيين، بما يؤدي إلى عودة الأفراد السوريين إلى مجتمعهم الأول، أو إلى حالتهم الاجتماعية الأصلية السابقة بمجرد سقوط الإمبراطورية العثمانية.

وأما الأمر الثاني، فهو: أن نشوء الدولة السورية الحديثة لم يكن باختيار وبإرادة السوريين، بل بفعل ظروفٍ، وإرادةٍ، وقرارٍ خارجيٍّ، لا يد لعموم السوريين بها. فمعروف أن بريطانيا في تلك الفترة وعدتْ "الشريف حسين" بمساعدته على إنشاء دولة عربية على أقاليم الجزيرة العربية، وبلاد الشام، والعراق، فيما لو شاركهم الحرب على الدولة العثمانية؛ فثار بعض السوريين مع "الشريف حسين" أملًا في ذلك، ولكن وكما هو معروف أيضًا، فإن بريطانيا كانت تتآمر مع فرنسا على مستقبل آخر لبلاد الشام، غير ذاك الذي وعدت "حسينًا" به. وهنا نسأل: ماذا لو اشتهى السيدان "سايكس" و"بيكو" رسم خريطة أخرى للمنطقة غير تلك التي عرفناها، والتي قد تصبح اليوم بدورها أيضًا عرضةً للتغيير، فهل كنّا سنعرف دولة سورية، ومجتمعًا سوريًّا، كالذي خبرناه خلال العقود الماضية؟

الجواب بالتأكيد هو: لا

نشأة الدولة السورية الحالية بطريقة مقلوبة من الخارج إلى الداخل، وبإسقاط بنية عليا على قاعدة غير متشكلة، أو غير ناجزة، خلافًا لما تقتضيه فرضيات نشوء الدول، ولا سيّما منها نظرية العقد الاجتماعي، ولما يجب أن تكون عليه الحال من وجود مجتمع أولًا، تجمع أفرادَه روابط، وقيم، ومصالح، ورغبات، وآمال، وتتوفر لهم الإرادة الحرة، والمقدرة والقوة، والوعي والرؤية، لإنشاء سلطة عليا (وهي الدولة) تحكمهم بالقانون، وتمارس السيادة باسمهم، ولحسابهم، أدت –أي النشأة المقلوبة– إلى بروز عدة إشكاليات بنيويةٍ عانى منها المجتمع السوري، والدولة السورية، على السواء، خلال العقود الماضية، ومنها: أزمة تحديد مفهوم الهُوّيّة، وغياب عوامل الاندماج أو التكامل الوطني، وتعثر مفهوم المواطنة، وانعدام الشرعية السياسية.

وبعيدًا عن الخطب، والشعارات، والأغاني، وعن مناهج التعليم المؤدلجة، وعن الدعايات المروجة صباح مساء، في وسائل الإعلام الحكومي الموجَّه، لم يكن يوجد في الواقع لا مجتمع سوري، ولا دولة سورية، ونكاد نجزم بأنه: لم يوجد سوريّ واحد يستطيع تحديد وتعريف هُويته الوطنية، أو يشعر ويتلمس حدود مواطنيته وممارسها، أو يعي عضويته في المجتمع السوري وحقيقتها وأطوارها. وبكل الأحوال، نحن لا نطرح هذه المقولة/ الفكرة على أنها حقيقةٌ نهائيةٌ، بل ندعي أنها فرضيةٌ تقبل الإثبات كما النفي، لكن تقريبها والانطلاق منها يساعدنا على تفسير بعض ما أصاب المجتمع السوري بعد الثورة، من تفتتٍ، وتفسخٍ، وانفراطٍ لكل الروابط التي كانت قائمةً، أو التي كنّا نتوهم وجودها بين مكوناته، ومعرفة خلفيات بعض السلوكيات والممارسات الغريبة، أو الشاذة، أو المتطرفة، من قبل العديد من السوريين، دون تبريرها أو قبولها بأية حال، وبذلك ننفي عن الثورة السورية تهمة خلق هذا الواقع وتكريسه. فالحقيقة شيء آخر، وهو أن الثورة ليست سوى كاشف لا منشئ لذلك الواقع، وكلّ ما فعلته لا يعدو تعرية الواقع، وإظهاره، ودفعه إلى دائرة الضوء. وطبعًا لا ننسى أن النظام بسياساته قبل الثورة، وبعنفه الهمجي بعدها هو مَن ساهم بجزء كبير في تكريس ذلك الواقع، واستغلاله لدوام بقائه، وبأية حال أيضًا.

نحن لا نقول إن الشعب السوري وأفراده لا يمتلكون المقومات المطلوبة لتأسيس مجتمع، وأمة، ودولة، أو أنّه لم تكن هناك محاولاتٌ جديةٌ لفعل ذلك، بل العكس؛ فالسوريون يحوزون من المقومات ما يكفي ويزيد لتحقيق ذلك، وقد كانت هناك محاولاتٌ كان من الممكن البناء عليها، ولا سيّما بُعيد الاستقلال، وخلال فترات الحكم الديمقراطي، إلّا أن الاستبداد وخصوصًا استبداد البعث وآل الأسد، بالإضافة لجملة معوقات وظروف داخلية وخارجية، هي من منعت ذلك.

تساعدنا تلك الفرضية، فضلًا عما سبق، في فهم بعض من جذور الصراعات الفكرية التي بدأت تظهر منذ منتصف عمر الثورة، بين أفراد الشعب السوري، والصراعات القادمة مستقبلًا بين مختلف التيارات، والمذاهب، والأطراف، سنةً وأقلياتٍ، عربًا وغير عربٍ، يمينًا ويسارًا وما بينهما، علمانيين وإسلاميين، ريفيين ومدينين، أغنياء وفقراء ومتوسطي الدخل، وغيرهم. ونحن إذ لا ندعو لتبني فرضيتنا المذكورة، بقدر ما ندعو لتفكير أعمق وأبعد مدى، وفيما وراء الصراع الدموي الحالي مع النظام المجرم وحلفائه، أو مع التكفيريين وأضرابهم، يتجاوز مجرّد تحليل وتفسير المواقف والظواهر الآنية، بغية وضع فرضياتٍ ومنطلقاتٍ صحيحةٍ، بهدف الانطلاق منها للكشف عن الجذور الحقيقية لمشكلاتنا السياسية والاجتماعية، وإيجاد الحلول المناسبة لها، كما ندعو أيضًا إلى التفكير بالطرق والوسائل الصحيحة لاستغلال تلك الصراعات، وتحويلها لحقول توليدٍ، تنتج في النهاية أفكارًا، وقيمًا، ورؤى مشتركة، لبناء المجتمع السوري، وإقامة الدولة الجديدة.

نحتاج في الوصول إلى ذلك، إلى التحرر، والمعرفة، والتفكير المنطقي، والوعي، والإرادة، والقوة، ولكن نحتاج قبل هذا كله إلى إسقاط النظام نهائيًا، وإيقاف المجزرة اليومية التي يديرها منذ ثلاث سنوات، وحتى الآن.

واقع الإعلام العربي والثورة

يعتبر الإعلام أحد أسلحة إدارة الصراعات في العالم منذ وجوده، وهي اليوم اللاعب الأساسي في ثورات الربيع العربي، إذ لا يمكن أن نفصل بين ما يحدث على الأرض وبين ما يدور خلف كواليس الأجهزة الإعلامية ونقصد بالإعلام، هاهنا، وسائلَ الميديا المعروفة من مقروءة ومسموعة ومرئية، حكومية، وشبه حكومية، ومستقلة، ورقية، وإلكترونية، فضلاً عن مواقع التواصل الاجتماعي التي استُخدمت تقنياتها، وبخاصة (اليوتيوب) في دعم الحجج، وتوثيق (أرقام الحشود) زيادة ونقصاناً، ولقد تكشف منذ بداية اندلاع الثورات عن هشاشة الأنظمة الإعلامية، وتبين وجود أزمة في الإعلام العربي، كشفت عن شرخ عميق في بنيته، الذي أطلق رصاصة الرحمة على نزاهته، بعدما فشل في امتحان المصداقية، وأعلن براءته من القيم المهنية والأخلاقية، الغريب أن الإعلام العربي في غالبيته وقع في فخ احتقار العقل، والهزأ بذائقة الناس، وعدم التحلي بالحدود الدنيا من المعايير المهنية التي يتعين أن تحكم حركية الإعلام وتضبطها. ومن المفارقات أن القاعدة الذهبية وسط هذه المعمعة هي أن من يملك أكبر قدرة على تشويه الحقيقة لخدمة أغراضه ومآربه السياسية، هو المسيطر، وربما المنتصر، لكنه انتصار مشبع بروائح الهزيمة!

ولم تنجُ بعض وسائل الإعلام الدولية العريقة من التورّط في لعبة الانحياز، وخيانة الحياد والموضوعية والذريعة أن الحقيقة عرضة للتغيير.

ازدادت هذه الوتيرة مع تحولات الثورة في سورية، إلى أن وصلت ذروتها غير المسبوقة في لحظة ما يعرف بـ((الانقلاب على الشرعية)) في مصر، فظهور جماعات متطرفة مثل ((داعش)) في سوريا والعراق أدى إلى تغيرٍ في تعاطي الإعلام مع الثورة لتقدم المعلومة كخادم لأجندات بعض الدول الإقليمية، حتى إن المراقب لم يعد يحوز يقيناً صافياً يستطيع الركون إليه، وبالتالي تشكيل رأي باتّ وقاطع فيما جرى، إن أراد أن يتحلى بقدر من الموضوعية والنزاهة. فاختلطت الأوراق حتى أمسى الحديث عن المعايير والاعتبارات الأخلاقية والضوابط المهنية أشبه بالترف، لأن الحالة تفاقمت حتى (اتسع الفتق على الراتق)، لاسيما وأن الكل لديه ميثاق (شرفه) الإعلامي، والكل يحوز في أدبياته مدونات سلوكية للتعامل المهني، والكل يحرص على الترديد الببغائي لأكذوبة (الرأي والرأي الآخر)، لكن من هذا الكل نفر قليل جداً من يخلص لشعاراته ويلتزم بها، ويبدي ولاءً لها.

إن أزمة الإعلام العربي الراهنة تعبر في بعض وجوهها عن نزعات التطرف والغلو. لكن الخاسر الأكبر في لعبة الاستقطاب الفظيعة هذه كانت (الحقيقة) التي جرى التضحية بها لمصلحة اصطفافات سياسية كان الإعلام مجالها الحيوي، ورب قائل يدعو في غمرة هذا التخبط العام إلى (ربيع عربي) جديد يعصف بالإعلام، ويعيد للحقيقة شرفها المهدور، ويؤسس قيماً جديدة لدور الإعلام باعتباره أداة أساسية من أدوات الإصلاح والتغيير، وموجّهاً أساسياً ينير خريطة الطريق أمام تطلعات الشعوب.

وحتى يتحقق للإعلام دوره المنشود، يتعين الكفّ عن ممارسة عقلية الوصاية والهيمنة والإيعاز، لأن مثل هذه التدخلات تُفقد الإعلام دوره، وتحرمه من الحرية والاستقلالية، ما يؤدي إلى شلل قدرته على النقد والمراقبة والمحاسبة، وحماية المجتمع من الاستبداد وتغوّل بعض الأطراف سواءً سياسية أو تعمل لحسابٍ وأغراضٍ خاصة تسيء في النهاية إلى قضايا الأمة، هذا الحديث ينطبق حتى على الإعلام المرتبط والمتحدث باسم ثورات الشعوب، فهو ليس بمنأىً عن ذلك، إذ إنه اليوم أصبح وثيق الصلة بما يخدم ويحقق طموحات وأغراض بعيدة المدى لا تخدم في الوقت الراهن إلا مصالح الأنظمة الفاسدة، والمجتمع الدولي الذي لم يتأخر عن نصرة الشعوب وإنما اتضح عدائه لها، وهذه الأزمة لا يمكن مقاومتها إلّا عبر بناء ثقافة ديمقراطية تتولاها قوى مدنية حقيقية وتيارات متنورة تؤمن بالاختلاف والتعددية والشراكة الاجتماعية في صناعة القرار هذا فيما يخص أجهزة

الإعلام الثورية خاصة والعربية على وجه العموم، فالانهيار الحادث والمستمر الآن في الإعلام العربي له أسباب تحرّكها نزعات سياسية مباشرة، لكن هذا الانهيار يكشف، في بعده الأعمق، عن معضلة ثقافية مركّبة تحتاج إلى مزيد من الوعي والمعرفة للسيطرة عليها، وهذه ليست مهمة الإعلاميين وحدهم.

إن أعوام الربيع العربي الماضية، وما حملته من مآسٍ ومفاجآت، تجعل من الضروري، تأسيس لغة ومفاهيم جديدة، بمرجعيات ثقافية وفكرية، كيلا نقع مرةً أخرى في خنادق الاستقطاب القصوى التي تصادر على العقل، وتستهين بالمنطق، وتشوّه الذوق، نحتاج إلى إعلام مستقل يوضح ويحلل بموضوعية ويلقي الضوء على الأحداث بأمانة أخلاقية حقيقية، وبرؤية واضحة لا تجرّ المجتمع إلى التحزّبات الضيقة التي تبدّد الجهود، وتشيع أجواء الكراهية، وربما تنهي الثورة قبل أن تنهيها الأنظمة الفاسدة.

باب الحارة وإعـــــلام النظام

ماذا فعلَ السُّوريُّون البُسطاء حتَّى يعاملهم النِّظام هذه المعاملة، أليس هذا الشعب المسكين بكلّ أطياف فقرائه وشرفائه هو مَنْ شربَ ذُلَّ الصَّبر على حافظ وبشار وأركانه كلَّ هذه العقود فما ازدادوا إلا عُتُوًّا وظُلماً؟! كلُّ تلك العقود التي مرَّت والبلادُ مرهونةٌ لهذه الحثالة الذين باعونا قضايا الأمة في الخطابات السياسية والأغاني الوطنية والمسلسلات الثورية.

ما زلتُ أذكرُ كيف امتلأ فمي بالضَّحك حين رأيت حافظ في (شاشة التلفزيون) يصرخ في أحد خطاباته قائلاً: إنَّ السوريِّين يجب أن يُضَحُّوا برغيف الخبز من أجل كرامة الوطن ومن أجل التوازن الاستراتيجي مع إسرائيل، ووقتها كان حضرته في ذلك الحين يبدِّل دَمَهُ كل ثلاثة أشهر على حساب السوريِّين، مثلما سرقَ رغيفَنا شركاؤه في التجارة بقضايانا الوطنية، وكان المقبور (حافظ) قبلَ ذلك الخِطاب قد أهدر كرامة الوطن في حماة، فأبادَ أحياء بكاملها، ثمَّ جَرَفَها بالجرَّافات، وهدَّدَ علماءَ دمشق فتركوا الشَّام خوفاً من بطشه، ومَنْ بقي منهم أكلتْهُ السُّجون، هذه هي كرامة الوطن، فكرامة الوطن تعني أن تُنتهك كرامتُك باسم عائلة الأسد، وأن يُقتل أطفالُكَ باسم عائلة الأسد، وأنْ تُحرقَ البلد من أجل الأسد، أيُّ وطنٍ للذُّل هذا، وأيُّ شعب يرضى لنفسه مثل هذه المهانة إلا أن يكون من الأنعام، وكما حمّلْتُ لهذه العائلة الكراهيةَ طول حياتي فقد حمّلْتُ أيضاً منذ تلك العقود اليأس من الخلاص منها، إلى أن شاء الله فقامت ثورة الحرية للخلاص من تلك العائلة، فشعرت أنّني أنتمي لشعبٍ جديرٍ بكلّ معاني الحياة الكريمة، وإذا كان بشار الأسد يظنّ أنّه يحكم البهائم التي لا تعرف معنى الكرامة، فهؤلاء ليسوا من السُّوريِّين، إنَّهم إحدى فئتين، فئة الخونة الذين آثَروا أن يتاجروا بإخوانهم وأن يملؤوا بطونهم وجيوبهم ويموتَ إخوانُهم السُّوريون مِنْ حولهم قَصْفاً أو جوعاً، وفئة ثانية أضلُّ من البهائم، هم الأتباع الأذناب الذين وصل بهم الغُلوُّ في التمسُّكِ ببشار إلى درجةٍ تدفعُ المرءَ إلى اليقينِ أنَّهم أشدُّ غُلُوّاً فيه من أمِّهِ التي هي أدرى بِنَسَبه.

تلك الخطابات الأسديَّة القديمة والحديثة على شاشات التلفزيون تشبه في العُهْرِ الأسبابَ التي دَعَتْ رامي مخلوف إلى إقناع بشار الأسد بضرورة دخول الانترنت إلى كل بيت ليكون ملهاةً للشباب السوريين، ظنّاً منه أن الشباب السوري كلّه سيجلس أمام الانترنت باحثاً عن المتع الرخيصة بعدما عجزَ عن العمل والزَّواج والسَّكن، لكنَّ ذلك أثمر عن جيلٍ جلس وراء الانترنت باحثاً عن الحريَّة التي لم يستطع أن يفهم جنود بشَّار الحمقى أنها تعني كرامة الوطن والمواطن.

وحين يتحدَّث النِّظام عن حريَّة الإعلام فهو يتحدَّث عن حرية تزوير الحقائق وحريَّة العُهْرِ، أمَّا حريَّة الفكر فهو جاهز للتَّدخُّل فيها ومحاربتها كلَّ وقت، لذلك نجد مُخْرِجَ مسلسلٍ تلفزيونيٍّ (مثل بسام الملا) يقوم بتغيير علم الاستقلال الذي هو علم الثَّورة في الأجزاء الخمسة السابقة منه، ويضع بدلاً منه العلم الفرنسيَّ في الجزء السَّادس، هذه هي حريَّة الإعلام في مفهوم النِّظام أن يغدو العقيد (معتز) شبيح النِّظام أحد ثوّار الشَّام، فأيُّ كرامةٍ لوطنٍ وأيُّ كرامةٍ لمواطنٍ

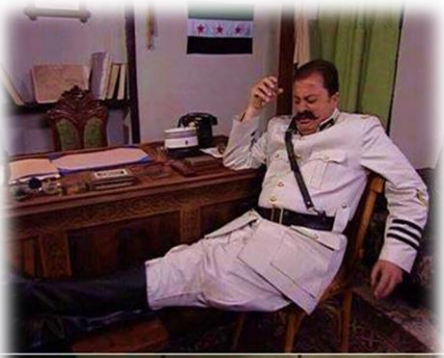

يخضع فيه كلُّ شيء لإرادة أجهزة الأمن التي ما زالت تتدخَّل في كلِّ شيء.

ونقول لك يا (بسام الملا): إنَّ باب الحارة الذي فَتَحْتَه كان الأجدرُ بك أن تبقيه مغلقاً بشهامة من أن تُشْرِعَهُ للخيانة، إذ لم نجد فيه الرجولة، كان باهتاً مثل نفاق المنافقين، والوجوه فيه كئيبة والمراجل فيه سقيمة، إن كل تلك المراجل سقطت أمام مأساة أطفالنا المهجَّرين، أولئك أبطالُ باب الحارة الحقيقيون، وأولئك أهل الشام والغوطتين الحقيقيون، إنَّهم الذين حُفِرَتْ في وجوههم كل مصائب الدَّهر في أربع سنوات فصاروا رجالاً، بابُ الحارة الذي فتحْتَه فَتَحْتَ به كلَّ الذِّكريات المؤلمة، فكم من فتاةٍ في سورية الآن تضع يَدَها على خدِّها باكيةً حين ذَكَّرَها باب الحارة في أجزائه السابقة بحاراتها التي صارت خراباً، وذكَّرها بأبيها أو أخيها أو زوجها أو أبيها الذين كانوا بقربها واليوم غدوا تحت التُّراب، كل ذلك بسبب رجلٍ مسعورٍ عَضَّ على الكرسي كأنّه لعبة اشتراها لها أبوه، وأتى إلى سوريا بداعش وحالش (حزب الشَّيطان) حتى أُصيبَت البلادُ كلُّها بالإسهال الذي انصبَّ نِتاجُه على رؤوس كلِّ أولئك الخونة. بابُ الحارة في جزئه السادس فَتَحْتَهُ – أيُّها المخْرِجُ القديرُ– من غير خجلٍ وأنت تعلم أن ملايين بيوت السوريين خراب يصفر فيها الموت، وأن جراح السوريين تبكي حنيناً إلى الوطن، فهل كنت تريد المتاجرة بدماء شهداء الغوطتين؟!

أيها الممثِّلون الدراميُّون، أيها المثقَّفون الكاذبون، أيها الشُّيوخ الحَسَاسِين من أمثال شيخكم الحسون، زقزقوا ما شئتم، اشربوا نَخْبَ (كاسك يا وطن) مع دريد لحام الذي صنع شُهرتَه على أكتاف السُّوريين حين تاجرَ بوجعهم ثمَّ خذلهم في الثورة التي حَدَّثَ أباهُ عنها في حُلُمِهِ الشَّهير، افعلوا ما شئتم، سوى شيء لا تفعلوه، لا تتحدَّثوا عن آلام الشعب السوري، فأنتم لستم جديرين بذلك، ابقوا جميعاً فنانين ومثقفين ومشايخ سيِّدكم بشار الأسد الذي لم يستطع أن يكون رجلاً ويتنحَّى، وإذا كنّا قد أشعلنا عود ثقاب، فهو الذي أحرق الوطن برمَّتِهِ.

لا تفسدوا صيامكم

خيرُ كلامٍ أستهلّهُ لبدايتي هذه حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال:((ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)). كثيرةٌ هي الأخطاءُ التي نراها في شوارعِ بلدتنا في نهارِ الصوم، الكثيرون متأهبون للمشاجرة، الكبيرُ منهم قبلَ الصغير بحجة (لاتخليني افسد صيامي عليك) هذه جملةٌ باتت معروفةٌ لدى الجميع وهي بمثابة انذارٍ للطرف الآخر، لا يوجدُ صبرٌ عندنا فنحن نختلقُ المشكلةَ من لا شيء وتجرنا معها أحياناً لمواقف لا يُحمدُ عقباها أبداً، أخلاقُ الصائمِ يجبُ أنّ تكون أسمى وأرفع من هكذا تجاوزات وإلا ما فائدةُ صيامنا في الحرّ غير الجوع والعطش، تعالوا اخوتي ومن هذا المنبر و أبدأ بنفسي أولاً: فلنضبط أنفسنا وأخلاقنا ونبتعد عن الخلافات والمشاجرات وسرعة التهور وانفلات اللسان، ولنتحلى بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم و صحابته الكرام في هذا الشهر السمح العظيم المعظم أعاده الله عليكم باليمن والإيمان والسلامة والاسلام والنصر القريب بإذن الله.

عبد الرحمن من الجبابرة

(صراعُ الجبابرة) فيلمٌ كرتونيٌ للأطفال، لطالما كنّا ننتظره في طفولتنا، يصور لنا بطولات الخير وتكاتف الأخوة يداً بيد لدحر قوى الشر والإطاحة بهم، ولا ننسى أسمائهم فذاكرة الطفل تحفظُ جيداً، عبد الرحمن وتسوتسو وحكمت وحمزة كانوا هم أبطالُ الفيلم قديماً. من يدري ربما في حياة ثورتنا الآن أُناسٌ قُلِدوا أسمائهم وتفانوا لفعلِ الخيرِ وضربِ الشر والأشرار أينما وجدوا، عبد الرحمن سويد الملقب (تسوتسو) كان جزءاً كبيراً من مشاهد صراع الجبابرة في ثورتنا .

امتطى فرس الثورة ولم يخف في الله لومةَ لائم، قدّمَ ما لم يقدمه الكثير من أبناء جيله في حماية الأرض والعرض واعلاء كلمة الله أولاً، مع اندلا ع شرارةِ الثورة كـــــــان عبد الرحمن يخدم في جيش النظام وله في الخدمة بضعُ أشهر معدودة، رأى من بطشهم ما رآه وسمع عن مجازرهم ما سمع، فلم يُطق عيشاً معهم والقتال إلى صفهم فانشقَّ عنهم عندما سنحت له الفرصة بذلك، وفي جعبته أمل وتفاؤل بالنصر عليهم رغم صعوبة الانشقاق في ذلك الوقت، عشرون ربيعاً من عمره أيقن فيهم أن نصرة اخوانه واجب وجهاده فريضة، حمل سلاحه في قدسيا ليصد ضربات الأسد ويسهر الليالي على أمنها وكان له النصيب في المشاركة بمعركة الاقتحام الشهر العاشر من سنة 2012 ذهب بعدها الى وادي بردى ليشكل «تسوتسو» ومجموعته رعباً في صفوف النظام وشبيحته ويضربهم ضربات وضربات في أكثر من معركةٍ دارت رحاها في أرض الضهر بجرد افرة ليمنَّ الله عليهم بتحرير حاجز الفاخوخ هناك، قاتل أيضاً بمعركة تحرير مستودعات مهين الضخمة وتم اغتنامها بفضل الله، عبد الرحمن نلت ما كنت تتمناه في أعلى الجنان بإذن ربك المنّان، واللهَ أسأل أن يكرم ضيافتك ويجعلك ربي في عليين مع الأنبياء والصالحين، دمائك رمزُ بطولتك وعلى نهجها ماضون وإليها سائرون .

شهداؤنا في الذاكرة دوماً ..لن ننساكم حتى نلحق بكم .

كاريكاتير العدد